

استراتيجيات الإقناع والتأثير في خطاب النشيد الوطني الجزائري

- مقارنة تداولية -

Strategies of Influence and Persuasion in the Algerian National Anthem

-A Pragmatic Approach-

د. يوسف نجعوم *

جامعة أم البواقي (الجزائر)

youcefndjaoum@hotmail.fr

تاريخ الإرسال: 2024/11/28	تاريخ التقييم: 2024/05/24	تاريخ القبول: 2025/06/04
---------------------------	---------------------------	--------------------------

ملخص: تتشكل الأناشيد الوطنية في كل دولة من عدة عناصر فنية وثقافية فعالة ذات قدرة كبيرة على التأثير والتفاعل مع مواطنيها خاصة في التوظيف الدقيق للكلمات والأداء واللحن، مع تضمينها رسائل الوحدة والانتماء والتمجيد. ومن بين هذه الأناشيد يبرز النشيد الوطني الجزائري بشكله المميز؛ في قوة التأثير والجذب العالمي. مما يثير التساؤل عن الاستراتيجيات الكامنة في الخطاب الذي حقق كل تلك النتائج؟ ولاستكشاف ذلك، وظفنا المقاربة التداولية في تحليل البنية الخطابية؛ لغرض تحديد الإستراتيجيات الرئيسة وآليات الإقناع والتأثير والاستمالة. قد تكون هذه الورقة البحثية مصدراً قيماً للباحثين، أو للمبدعين سواء أكان ذلك في طريقة التحليل، أو في كيفية دمج العناصر الإقناعية والجمالية في أعمالهم الأدبية الخاصة.

-الكلمات المفتاحية : إستراتيجيات الإقناع والتأثير؛ خطاب النشيد الوطني الجزائري ؛ مقارنة تداولية

Abstract: National anthems are composed of artistic and cultural elements with a high ability to influence and interact with citizens, while broadcasting messages of unity and belonging. Among these songs, the Algerian national anthem stands out with its distinctive form and strong appeal. Which raises the question about what are the strategies inherent in his speech, which led to it achieving all this influence and global attraction? To find out, we employed the pragmatic approach in analyzing the rhetorical structure. For the purpose of exploring the key strategies of persuasion, influence and cajoling. It may be a valuable source for researchers and

writers in the method of analysis, or in how to employ persuasive and aesthetic elements in their own creativity.

Keywords: strategies, persuasion and influence; discourse, Algerian national anthem; pragmatic approach

*المؤلف المراسل:

1. مقدمة:

إن الحديث عن عملية التأثير، والتوجيه، والاستمالة في الخطاب بصفة عامة، والخطاب الشعري بصفة خاصة، يقودنا بالأساس إلى التعمق في فهم مكونات عناصر الخطاب والمعرفة الشاملة لمضامينه السياقية، وآلياته الإجرائية، ومن ثمة تتم عملية اختيار الإستراتيجيات المناسبة لإلقاء الخطاب، ولنا في بعض الشعراء الجزائريين من توصلوا إلى توظيف هذه الاستراتيجيات، التي استمالت خطاباتهم الشعرية المتلقين ونالت إعجابهم. من بينهم الشاعر مفدي زكريا الذي كان صوت الثورة الجزائرية ومرآتها، خاصة في خطابه (قسما)، النشيد الوطني الجزائري .

يتميز النشيد الوطني الجزائري بعدة خصائص في شكله ومضمونه وإيقاعه ولحنه، جعلته يرتقي إلى مصاف الأناشيد الوطنية ذات التأثير، والصدى العالمي؛ والفضل في ذلك يعود إلى الطريقة التي هندس ونظم بها الشاعر خطابه شكلا ومضمونا وأداء فانعكس ذلك في صدق الأحاسيس والمشاعر التعبيرية عن آمال، وآلام الشعب الجزائري، كان عاملا مهما في حفظ الذاكرة الوطنية، وتوجيه النشء على الاعتزاز بأمجاده التاريخية والبطولية. ومن هنا كانت لنا الأسئلة الرئيسة الآتية : ما هي الاستراتيجيات الإقناعية والتأثيرية التي أسس عليها مفدي زكريا خطابه الشعري (النشيد الوطني الجزائري)، حتى ينال كل هذا الإعجاب العالمي ؟ وإلى أي مدى يمكن اعتبار توظيف الآليات الإقناعية ذات الفعالية في التأثير على المتلقي واستمالاته؟. للإجابة عن هذه التساؤلات وفهم مظاهر هذه الإستراتيجيات وفق مقتضيات السياق، اخترنا المقاربة التداولية مجالا لها في التطبيق. إذ تسمح لنا هذه المقاربة بتحليل الخطاب من عدة زوايا منها : السياق، المرسل، المرسل إليه، الرسالة، الآليات التبليغية والتأثيرية والجمالية. إن توظيف كل هذه العناصر وغيرها، ستسمح لنا باستكشاف

مكامن قوة التأثير والإقناع، واستخلاص أهم الإستراتيجيات الموظفة في الخطاب . ومن هنا تكمن أهمية هذه الورقة البحثية؛ لما تتيحه للباحثين من الوقوف على دور ، وأهمية اختيار الإستراتيجيات المناسبة في تحقيق أهداف الخطاب من الإقناع ، والتأثير على المتلقي؛ لتكون عوناً لهم في التحليل التداولي ووسيلة للمبدعين في تحقيق توظيف الآليات الإستراتيجية في نصوصهم. معتمدين على خطة مكونة من مبحث نظري تطرقنا فيه إلى علاقة التداولية بالخطاب، ثم مفهوم الإستراتيجية وعلاقتها بالخطاب والإقناع. ومبحث ثاني هو دراسة تطبيقية على المدونة بما جادت به الآليات الإجرائية التداولية ذات الصلة بالإستراتيجيات الإقناعية والتأثيرية، وفي الأخير خاتمة هي محصلة لنتائج البحث .

2- علاقة التداولية بالخطاب :

علاقة التداولية بالخطاب علاقة وطيدة في العصر الحديث، بعد أن عرفت عدة تحولات من المجال اللغوي والمنطقي والفلسفي إلى التداولية الأدبية، باتصالها الاجتماعي وارتباطها بالسياق بالإجابة على الأسئلة المهمة في مثل ما طرحها (فرونسوا أرمينكو): "ماذا نصنع حين نتكلم؟ وماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ .. " ⁽¹⁾، ونتيجة لهذا الطرح يمكن حصر اهتماماتها في مجموعة من العناصر أهمها : معتقدات وشخصية وثقافة المتكلم، ومقاصده من الكلام، ثم المعرفة المشتركة بين المتخاطبين، ومبدأ التعاون، والظروف المكانية والزمنية، والعلاقات الاجتماعية؛ لتُعرف بنظرية السياقات، إذ "دعا (ماكس بلاك) لتسمية التداولية بالنظرية السياقية" ⁽²⁾ . ثم عرفت تطورات أخرى هي آخر محطة لها اصطلاح عليها بنظرية الأفعال الكلامية، بعد أن فتحت آفاقاً جديدة في فهم أبعاد اللغة والخطاب، وسدّت العديد من الثغرات اللسانية والبنوية السابقة في تقاطعها مع الكثير من الحقول المعرفية، كما هو موضح في (الشكل رقم 1) .

الاهتمامات	النظرية والاتجاه
المتكلم	الاتجاهات النفسية والتاريخية
النص	البنوية و السيميائية و التفكيكية
المتلقي	نظرية التلقي والقراءة
- كل عناصر التواصل	التداولية

(الشكل رقم 1) يبين اهتمامات التداولية وتقاطعها مع الحقول المعرفية الأخرى

2-1- مفهوم استراتيجيات الإقناع:

الإستراتيجيات عموماً هي الطريقة التي يختارها المرسل في خطابه بحسب الموضوع والظروف المحيطة به، إذ "تبنى الإستراتيجيات الإقناعية على معيار هدف الخطاب"⁽³⁾. في حين نجدها عند الباحثين المعاصرين، يعرفونها على أنها "نشاط من طبيعة مغايرة، فالغاية الأولى والأخيرة للملفوظ في هذه الحالة هي التأثير في الآخر، والدفع به إلى تبني موقف ما أو اقتناء منتج أو التخلي عن سلوك"⁽⁴⁾. وهذا النشاط الخطابي يستهدف التأثير العقلي والوجداني في المتلقين، بأساليب الاستدلال والإقناعات المتنوعة؛ لاستمالة المتلقي وإذاعته لتعديل سلوكياته، في ظروف مقامية معينة؛ لهذا يشترط على المُقنع أن يمتلك كفاءة تواصلية وإقناعية فعالة؛ منها مهارة التعبير والعرض المنظم للأفكار، وفهم دوافع نقد الآخر.

2-2 - السياقات الخارجية للخطاب :

تعتمد هذه الدراسة _ عموماً_ على التّعايير المُهمّة ضمن ظروف استعمالها، والسياق الوجودي الإحالي، وهم: "المخاطبون ومحددات الفضاء والزمن .. وهذا يستلزم منّا الحديث عن معينات أطراف التّواصل، وفعل التّلفظ⁽⁵⁾ التي يمكن تلخيصها في الشكل رقم 2

_ الباث	_ هو المتكلم أو الكاتب الذي يحدث القول.
_ المتلقي	_ السامع أو القارئ الذي يستقبل القول.
- المستمعون	_ الأشخاص المساهمون في تحديد معنى الحدث الكلامي.
_ الموضوع	_ محور الحدث.
_ الظرف	_ السياق المكاني والزمني للحدث.
_ القناة	_ كيفية التواصل ، (لفظاً ، كتابة ، إشارة).
_ الشفرة	_ اللغة أو اللهجة أو الأسلوب المستعمل.
_ الرسالة	_ مناظرة، خطبة، قصيدة
_ الطابع	_ تقييم الكلام
_ الغرض	_ نتيجة الحدث الكلامي

(الشكل رقم2): عناصر الرابطة التبليغية

3- الإستراتيجية الإقناعية والتأثيرية في نشيد "قسما":

3-1- الرسالة :

الخطاب هو قصيدة شعرية ضمن ديوان اللهب المقدس لشاعر الثورة الجزائرية " نظم النشيد الرسمي للثورة الجزائري، في سجن بربروس، في الزنزانة رقم 69 تاريخ 25 أفريل 1955، تلحين الأستاذ محمد فوزي ، مصر⁽⁶⁾ ، ليصبح النشيد الرسمي للدولة الجزائرية .

3-2- المرسل للخطاب :

يعتبر مفدي زكريا مرآة الثورة، وقد كتب عدة أناشيد منها "فداء الجزائر" ونشيد "قسما" في ديوان "اللهب المقدس" الذي يشمل أناشيد وقصائد خالدة مثل قصيدة "الذبيح الصاعد" ونشيد "اعصفي يا رياح". ويتوج هذا الإبداع بتحفة التحف "إلياذة الجزائر". توفي مفدي زكريا بتونس في 17 أوت 1977 م ، بتونس ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه ببني يزكن بغرداية (7)

3-3- المرسل إليه (المتلقي):

_ يوجد في الخطاب ثلاثة أنواع من المتلقي : الأول وهو المتلقي الذي يستوعب الخطاب، ويقتنع به دون تردد؛ وهم الثوار بصفة خاصة والشعب الجزائري بصفة عامة، ويندرج ضمنهم المتلقي الكوني الذي تعاطف مع القضية الجزائرية من العرب والمسلمين وأحرار العالم .

أما المتلقي الثاني فهو المتردد والمشكل في قدرات الشعب الجزائري من الانتصار على المستعمر في حين المتلقي الثالث وهو المتلقي العنيد المتمثل في الاستعمار الفرنسي.

4-3- المكان والزمن :

نظم نشيد الثورة الجزائرية " قسما " استجابة لنداء قيادة الثورة بالجزائر في صائفة 1955م؛ أي بعد سنة من اندلاع ثورة التحرير في جو من النضال والجهاد والتعبئة، وفي مرحلة حاسمة من الحرب التحريرية الجزائرية. ويشير ديوان اللهب المقدس إلى أن تنظيمه كان بسجن بربروس في الزنزانة رقم 69 بتاريخ 26 أبريل 1955، وبتلحين الأستاذ محمد فوزي، بمصر⁽⁸⁾ .

3-5 - القصد والهدف من الخطاب

كتب مفدي زكريا هذا النشيد لغرض المساهمة بقوة في تعبئة الشعب، وتوحيد شعوره، وصقل روح التضحية والنضال ، فهي متلائمة مع المبادئ، والأهداف المحددة من قبل قيادة جبهة التحرير الوطني بالجزائر التي أقرته نشيدا للثورة الجزائرية.

3-6 - السياق العام للخطاب

بعد أن فشلت كل المساعي السياسية، والوعود الفرنسية الكاذبة، وما انجر عنه من مآسي أحداث الثامن من ماي 1945، والتي تركت اهتزازا عميقا في نفوس الشعراء بصفة خاصة والشعب الجزائري بصفة عامة؛ أصبح اختيار مبدأ الثورة إحساسا وطنيا عاما وشاملا وأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، ليشعل فتيل حرب التحرير المسلحة؛ ويكون الشاعر وشعره، مرآة عاكسة لهذا التطلع.

4- دراسة مستوى البنية الداخلية للنص: (Acte illocutoire)

نعتمد في هذا المستوى على تحليل إستراتيجيات الخطاب حسب عناصر البنية الداخلية للخطاب الإقناعي التي يمكن إدراجها ضمن الأفعال الكلامية (Acte illocutoire)؛ كأخر مرحلة توصلت إليها الدراسات التداولية، كترتيب أجزاء القول، والأفعال الإنجازية، ووسائل الإقناع والبراهين، والأسلوب والبناء اللغوي...؛ مرتبة بدءا بتحليل طبيعة الموضوع على مستوى بنية الخطاب الداخلية، ثم رصد إستراتيجيات توظيف الأفعال الإنجازية لها، بتطبيق مشروع (أوستين) و(سيرل)، خاصة في كتاب أوستين (كيف ننجز الأشياء بالكلمات)، من خلال العناصر المشكّلة لها: "الفعل الإسنادي والفعل الإحالي، والفعل الدلالي، والفعل الإنجازي. مع العلم أن هذه التصنيفات "ليست أفعالا ثلاثة يستطيع المتكلم أن يؤديها واحدة تلو الأخرى؛ بل هي جوانب لفعل واحد" (9)، أما النوع الثاني؛ أي الفعل المتضمن في القول؛ فهو الفعل الإنجازي الحقيقي، إذ إنه "عمل ينجز بقول ما، وهذا القسم هو المقصود من نظرية الأفعال الكلامية برمتها" (10)، ولكون هذا الفعل "هو ما يؤديه الفعل اللفظي من وظيفة في الاستعمال، ومن معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي" (11)، وعليه فإنّ الفعل الإنجازي يرتبط عنده ارتباطا وثيقا بمقصد المتكلم؛ ولهذا يقوم مفهوم مقصد المتكلم الذي يعبر عنه بالإنجاز، بدور مركزي في نظرية الفعل الكلامي اعتمادا على معايير إستراتيجية الشاعر؛ باختلاف القدرات الذهنية للمتخاطبين، منها المعايير الاجتماعية والعلاقات التخاطبية، واللغوية، بالإضافة إلى المعيار الأساس وهو الهدف من إلقاء الخطاب.

4-1 إستراتيجيات ترتيب أجزاء القول (force Assertives)

بعد ما عرفنا المرسل والسياق العام، والخاص والرسالة وأنواع المتلقي للخطاب، والقصد والهدف من إلقاء الخطاب، نستنتج أن الخطاب ثوري حماسي إرشادي، يهدف إلى الدعوة إلى تغيير أوضاع الجزائريين. فما هي الإستراتيجيات الملائمة للإقناع والتأثير التي يتوخاها الشاعر لإرسال خطابه الإقناعي؟

تظهر إستراتيجية ترتيب أجزاء قوة القول في بناء الخطاب التوجيهي في ثلاثة عناصر، وفق مؤشرات لغوية ،وعلامات تبين البداية والعرض والنتيجة، وفق جملة من الحروف والأدوات التي تدل عليها. بدأها الشاعر بالمقدمة في المقطع الأول من النشيد بالتضحيات الجسام للشعب الجزائري، وبدماء أبنائه التي سالت أودية في كل بقاع الوطن، عاقدا العزم على تحرير أرضه رافعا شعارا إما النصر أو الشهادة. ثم انتقل إلى العرض بالمقطع الثاني أشار فيه إلى عدالة القضية الجزائرية، المتمثلة في حقه في استعادة الحرية والاستقلال، بعد ما فشلت كل أساليب الحل السلمي والدبلوماسي.

أما المقطع الثالث فهو يخاطب الاستعمار الفرنسي، متوعدا إياه على لسان الشعب الجزائري أن اللغة الوحيدة التي يفهمها المستعمر هي لغة الثورة ،والكفاح المسلح، طريقا للحرية واستعادة الكرامة.

أما المقطع الرابع، فأشاد بقوة وبسالة الشعب الجزائري تحت قيادة جبهة التحرير الوطني. في حين كانت الخاتمة في المقطع الخامس، يحث فيها كل الشعب الجزائري، وأحرار العالم للانضمام إلى الثورة تلبية لنداء الوطن، واستجابة لصوت الحق والواجب وتقديم المزيد من التضحيات؛ ومن هنا تتضح قصيدة المتكلم، وأهدافه، وعلى ما كانت الأطراف المشاركة تنوي التوصل إليه في الحدث الكلامي أثناء إصداره للملفوظات.

2-4- إستراتيجية بناء العلاقات التخاطبية :

يعدّ السياق الإشاري للخطاب من أهم وأبرز العناصر اللغوية التي يتحدّد معناها في إطار المقام؛ لهذا اهتم بها المنهج التداولي اهتمامًا كبيرًا؛ فهي تندرج ضمن نسيج البنية العميقة للخطاب فقد تمثلت الإشارات في صميم بنية الخطاب، إذ " نجد المتكلم في هذه المرتبة من التعامل حريصا على أن يحفظ عرى التواصل مع الجزائريين لغرض "... أن يبادل نفسه الحرص على التواصل وعلى الوصول إلى المنفعة المشتركة.⁽¹²⁾ ". بالإضافة إلى اعتماد قانون الشمول (la loi d'exhaustivité) عند الإخبار بإعطاء المتكلم كل ما بحوزته من معلومات للمستمع . كما يوضحه : (الشكل رقم 3).

الفعل الإنجازي	الفعل التوجيهي	مدلوله	القصد القولي
فاستعدي وخذي....	نحن ← أنتِ	الشاعر ← المستعمر الفرنسي	التهديد والوعيد
اسمعوها	أنا ← أنتم	الشاعر ← الشعب الجزائري	النصح والتوجيه
واستجيبوا	أنا ← أنتم	الشاعر ← الشعب الجزائري	النصح والتوجيه

واكتبوها	أنا ← أنتم	الشاعر ← الشعب الجزائري	النصح والتوجيه
----------------	---------------	-------------------------------	----------------

(الشكل رقم 3): الإشارات في النشيد قسما

3-4- إستراتيجية توظيف الموجهات الحجاجية :

إنّ نظرية أفعال الكلام هي جوهر التّداوليّة بل " هي النظريّة بكاملها".⁽¹³⁾ لكونها تهدف إلى دراسة الفعل بوصفه حركة وفعل وإنجاز، وعلى اعتبار أنّ الخطاب الأدبي حمّالٌ أوجهٍ يفهم بحسب درجة المتلقي، " فإمّا أن يكونَ المتلقي خالي الذّهن يتقبل المعرفة الملقاة إليه، وفي هذه الحالة تقتضي خطابا تعليميّا، وإمّا أن يكونَ غافلا عمّا ينتظره، متناسيّا لما تعلّمه، فيكون الخطاب خطابًا وعظيًا، وإمّا أن يكون مخالفاً جاحداً لوجهة نظر المرسل؛ فالحالة هنا تقتضي خطابا حجاجيا"⁽¹⁴⁾. هذا ما أدى إلى تواجد الكثير من الصّيغ الخبريّة والإنشائيّة، والأساليب التلميحيّة التي تندرج ضمن الأفعال الإنجازيّة والتأثيريّة؛ المدعمة بمختلف الحجج، والبراهين؛ لغرض الإقناع والتأثير، ثم التوجيه كما نوضحها في (الشكل رقم 4).

الزمن الماضي		الزمن الحاضر والمستقبل	
ثرنا - عقدنا، قمنا- لم يكن يصغى- عقدنا- فاتخذنا- عزفنا، عقدنا- قد مضى- طويناه -عقدنا - مددنا		قسما (أقسم)- فاشهدوا- فاستعدي - خذي - تحيا - اسمعوها -استجيبوا - اكتبوها- اقرءوها - فاشهدوا	
عدد أفعال الماضي بالتكرار = 15 فعلا	= 31,25%	المضارع بالتكرار: 12 + أفعال الأمر بالتكرار 21	المجموع : 33 = 68.75%
أفعال تبريرية النتائج والحجج			

(الشكل رقم 4) إبراز طريقة توظيف الأفعال التوجيهية وأغراضها في الخطاب

4-4- توظيف الأفعال التقريرية:

وظف الشاعر في عموم الخطاب؛ الأفعال التقريرية والأفعال البوحية (EXPRESSIVES) التي تهدف إلى جملة من الحقائق؛ مزودة بالشروط التي تُحقّق الأفعال الإنجازيّة، ومثل ذلك في المقطع الأول، نجد الفعل الإسنادي في الجملة الفعلية المكونة من محمول فعل محذوف تقديره [أقسم] والمعبر عنه بصيغة المصدر [قسما]، وموضوعه الأسماء المجرورة، والجملة المعطوفة بعده ، وفعل إحالي إلى [الشاعر والشعب الجزائري، بالإشارة إليه بالضمير المتصل في الأبيات التي تليه في الفعل الإسنادي [ثرنا]. ومن فعل دلالي يتشكل من موضوع الثورة ضد المستعمر، مما يستلزم منطقيا حرص الشاعر أن يصدر قوة إنجازية حرفية هي التأكيد والتوجيه.

أما المقطع الثاني فهو يشمل أفعال القول، ويحمل معاني الإخبار والتقرير والوصف؛ لمدى امتعاضه من سلوكيات الاستعمار الفرنسي. تحقّقت في كل ذلك مع قولها أمران اثنان: الأول وهو القول ذاته، والثاني محمول القول (فعل الإسناد Acte propositionnel)، إذ يربط الصلة بين المرسل والمرسل إليه؛ معتمدا على عملية استرجاع الأحداث - في الغالب- خاصة في المقطع الأول، والمقطع الثالث والرابع والخامس؛ كونها يحملان شحنة حجاجية قوية، لها تأثير بالغ على المتلقي، من خلال المقارنة بين حقيقة وعود فرنسا الاستعمارية، وما يعيشه الشعب الجزائري من قمع ووحشية وجرائم. كانت هذه التقريريات كثيفة بالشحنات الحجاجيّة اللغوية والمنطقية، مدعمة بالاستلزام الجوّاري؛ الذي ساعد على وضوح وفهم القصد، مثلما نوضحه في (الشكل رقم 5)

الفعل السلوكي	زمن دلالة الحدث	غرضه
ثرنا - عقدنا	الماضي	_ تقرير وصفي لسلوك غرضه إبراز قوة العزيمة
لم يكن يصغى لنا	الماضي	الأفعال البوحية، اعتبار ما كان، غرضه التوبيخ
طوبناه	الماضي	_ الأفعال البوحية ، غرضه العزيمة والإرادة
اسمعوها واستجيبوا	الحاضر	أفعال توجيهية، غرضها النصيح والتوجيه للشعب الجزائري
فاستعدي وخذي	الحاضر المستقبل	هدفها تهديد المستعمر مما سيراه من قوة الثورة

عقدنا	أفعال حالية	مدح تفاضلي للشعب الجزائري وفيها يشحذ الهمم
قسما بالنازلات..	تقريريات	قوة الإرادة والعزيمة وهول الحدث السياقي

(الشكل رقم 5) :أغراض الأفعال السلوكية من خلال زمن الإلقاء

4-5-توظيف أفعال الإنشاء:

وظف الشاعر فعل الإنشاء (Acte performatif) أي " الفعل المتضمن في القول، وهو الفعل الإنجازي الحقيقي، إذ أنه عمل ينجز بقول ما، " (15) ؛ وهذا يعني أن الفعل الإنشائي هو التلفظ والإنجاز معا؛ والمتمثل في ما قدمه الشاعر من توجيهات؛ بأن تحقيق النصر مرهون بالثورة، كقوله في ما ورد في المقطوعة الثانية: " نحن جند في سبيل الحق ثرنا.. وإلى استقلالنا بالحرب قمنا... لم يكن يصغى لنا لما نطقنا... فاتخذنا رنة البارود وزنا... وعزفنا نغمة الرشاش لحنا... وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر" هي أفعال انجازية تقريرية تكن عن القرار الصائب الذي اتخذته جبهة التحرير، والثوار الجزائريين ومعهم الشعب الجزائري، جراء ما أصابهم من ظلم المستعمر، هذه الأفعال المتكونة من فعل إسنادي في الجملة الفعلية المكونة من محمول فعل "سبيل الحق ثرنا، استقلالنا بالحرب قمنا" وموضوع الفعلين هو الفاعل "نحن" وفعل إحالي إلى " الحق والاستقلال " بالإشارة إليه بالاسم والضمير المتصل (نا) الذي يعود على المتلقي الشعب الجزائري.

أما الفعل الدلالي فقد تشكل من قضية وقوع الجزائر في مخالب الاستعمار، وهذا ما يتطلب من الشعب الجزائري الثورة ضده، موظفا الحجة والدليل المتمثل في التقرير المقدم في بداية الخطاب ، ولكون هذا الفعل الإنجازي يشتمل على أمر زائد هو فعل [القوة Force] التي للقول، فيقال مع القيام ب[فعل القول] و[الفعل الإنشائي]، ينشأ [فعل التأثير] الذي يتوقف أثره على المعنى المعطى للقول؛ بغية إحداث استجابة حسنة لديهم عن طريق الإقناع، وهي احتضان الشعب الجزائري للثورة، في قوله في البيت السابع والثامن: "يا فرنسا قد مضى وقت العتاب.....وطويناه كما يطوى الكتاب.... يا فرنسا إن ذا يوم الحساب.....فاستعدي وخذي منا الجواب" (16) ، هي سلسلة من أفعال انجازية تقريرية، تعبر عن أحداث قام بها المستعمر الفرنسي، وردّات الفعل من الشعب الجزائري الذي يتوعد الاستعمار بثورة تزعزع أركانه، هذه الأفعال المتكونة في البيتين من أفعال إسنادية يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول الفعل [قد مضى، طويناه، استعدي وخذي] وموضوع الفعل هو الفاعل المشار إليه في اسم المنادى الصريح في قوله: [يا فرنسا] وفعل إحالي إلى [وقت العتاب، يوم الحساب ،

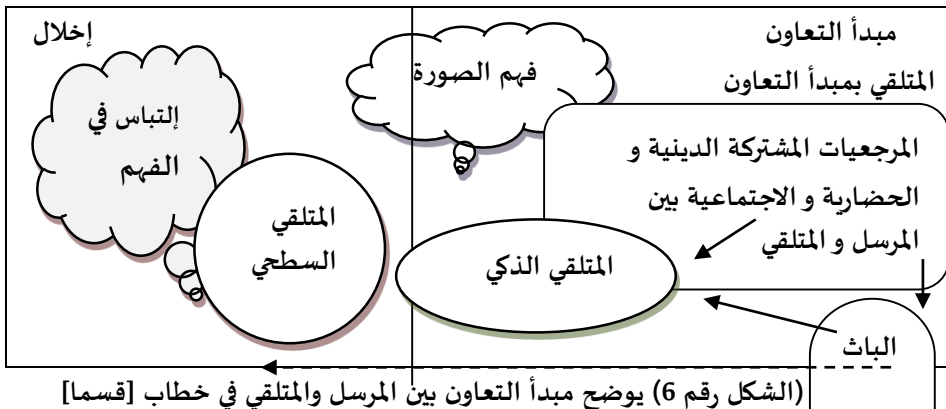
الجواب]. أما الفعل الدلالي فقد تشكل من قضية أخذ الجزائر قرارها النهائي أن لا عودة إلى سياسة العتاب، والمطالبة السلمية، وأن الأمر فصل فيه بأن الثورة والكفاح المسلح السبيل الأوحّد لإخضاع فرنسا الاستعمارية. وينهي الفقرة بالإصرار في قوله في البيت التاسع: "إن في ثورتنا فصل الخطاب وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر" مع وجود توجيه آخر للشعب الجزائري، وهو التوجيه بالترجي، مثل قوله في الفقرة الأخيرة: "اسمعوها واستجيبوا للنداء، واكتبوها بدماء الشهداء، واقروها لبني الجيل غداً" (17) وصيغ لغوية أخرى شأن الأزمنة وشأن استخدام الضمائر وأدوات التوكيد مثل "إن، قد".

4-6- إستراتيجية الإقناع العاطفية :

كون النفس البشرية تنفر غالباً من الأوامر الفوقية المباشرة غير المبررة، فقد أوجد المرسل حجة ملحقة تزيد في الإيضاح والتأثير، وهي اختيار ضمير المتكلم [نحن] الذي يعبر عن تلاحم الشعب على صوت الكفاح المسلح، ويسمى هذا الفعل: [الفعل الناتج عن القول]، المتمثل في إستراتيجية الإقناع العاطفية في قوله: "عقدنا العزم" بضمير الجمع أن تحي الجزائر. وهذا نموذج يبين مبدأ التعاون بين المرسل والمتلقي المتمثل في الشعب الجزائري، مع وجود إستراتيجية المعيار الاجتماعي التي تهتم بنوعية العلاقة الاجتماعية، التي تمثل الإستراتيجية التضامنية في معيار العلاقات التخاطبية التداولية بين المرسل والمرسل إليه؛ أي المتكلم والمخاطب في نظام يعرف بـ[النظام القولي] بما يضمنه من قرائن، تعمل على كشف مجموعة من القيم والمقامات الموزعة على مستوى النص، كالمعيار اللغوي، والتماسك النصي الدلالي. ولكون الشاعر يرغب في تقليص المسافة بينه وبين المتلقي، بوصفهم مخاطبين فعليين، خاصة إذا كان المرسل شخصية لها سلطتها المعنوية المشهود لها، وثقلها السياسي والتاريخي، ففيها يصبح طرفا الخطاب وكأتهما من الأقران، انطلاقاً من أن ضمير المتكلم والمخاطب؛ لوجودهما وقت التلفظ بالخطاب، وورود الضمير (نحن ثرنا) منفصلاً؛ يحمل قيمة تداولية كبيرة، في اعتماده أساساً على مبدأ المشاركة بين طرفي العملية التواصلية، فالضمير [نحن] من أصناف تلك الإشارات الشخصية للدلالة على المتكلم الحاضر، إلى جانب المبادئ العامة للخطاب يمكن أن نسجل قوانين خاصة ومحددة تتعلق بمضمون الملفوظ، من بينها قانون الإخبارية (la loi d'informativité). الذي يعد الأكثر استعمالاً، وهو أحد المكونات الأساسية لعملية التواصل اللغوي. كما يحده (ديكرو) "هو تزويد المخاطب بالمعلومات التي لم تسبق له معرفتها" (18)، وتظهر بوضوح في الأفعال التقريرية المتواجدة بكثرة في الخطاب.

4-7- استراتيجيات توظيف الأفعال الإنجازية غير المباشرة:

وظف المخاطب كثيرا من الأفعال الإنجازية غير المباشرة التلميحية، خاصة إذا علمنا أن "معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول؛ لأداء أغراض تواصلية وإنجاز مقاصد حجاجية إقناعية؛ لهذا بدأ المرسل في مطلع خطابه بأقوال استشعارية؛ لاكتشاف ما لهذه الأقيسة من طاقات حجاجية، تعتمد على السلم الحجاجي، الذي يعرفه طه عبد الرحمن بأنه: "... مجموعة غير فارغة من الأقوال،... حيث تترتب الحجج في الخطاب على أساس طاقتها الحجاجية، وقدرتها على الإقناع، ويقوم المرسل بترتيب الحجج على أساس دعمه لدعوته" (19) التي مكنت المخاطب من تبرير النتائج التي وردت كردود أفعال عن ما قام به المستعمر الفرنسي من جرائم في حق الشعب الجزائري. يكون للمعنى هنا قصداً آخر غير المعنى الذي يدل عليه ظاهر القول، ف"القراءة المطلوبة هي القراءة التي تسعى للوصول إلى جوهر الرسالة وتذوق جمالياتها كاملة.. تسند القراءة المطلوبة إلى خبرات القارئ.." (20). ومن هنا نكون قد تمكنا من معرفة إستراتيجية الشاعر في بناء النص الإقناعي التضامني، إذ يحفز مخاطبه على بذل طاقة إضافية، متمثلة في استثمار الكفاءة التأويلية للمتلقي؛ لفهم قصد المخاطب، الذي لا يريد التصريح به. كقول الشاعر في البيت الثامن: "يا فرنسا إن ذا يوم الحساب××× فاستعدي وخذي منا الجواب" فالبيت يحتاج إلى قراءتين الأولى سطحية والأخرى عميقة، معتمدة على السياق الذي يرجح المعنى الثاني المطلوب في دلالة الخطاب، باكتشافنا للمضمن في القول السياقي الذي ورد فيه النص، كما هو موضح في (الشكل رقم 6)



ومن هذه الصور البيانية (التشبيه، الاستعارة، الكناية، المجاز)، واستغلال ما فيها من طاقات حجاجية؛ لإثبات قول أو نفيه، وذلك هو مناط الحجاج الذي عُرف في الدراسات التداولية بالتضامن والتوجيه، والتلميح والإقناع؛ لكون المتحاورين كل منهما يبدي تعاوناً

ويبذل مجهودا لنجاح المحاوره، فبالتعاون العميق بين الباحث والمتلقي الذي يعرف في التداولية بقواعد مبدأ التعاون (Conversational implicature)، ينظر (الشكل 7).

الغرض التداولي	الفعل غير المباشر	الملفوظ
تشخيص المعنوي (وقت العتاب في صورة المادي غرضه التهديد والوعيد	مضى طوينا عزفنا	يا فرنسا قد مضى وقت العتاب طوينا كما يطوى الكتاب عزفنا نغمة الرشاش لحنا
كناية عن التهديد والوعيد	الملفوظ	- يا فرنسا إن ذا يوم الحساب - فاستعدي وخذي منا الجواب - إن في ثورتنا فصل الخطاب

(الشكل 7) : طريقة توظيف الأفعال الإنجازية التلميحية في خطاب [قسما]

8-4- إستراتيجية توظيف التكرار:

الهدف من توظيف التكرار هو إبراز شدة حضور الفكرة، والتأكيد عليها والاهتمام القصدي في إيصالها كقوله في البيت الثالث: "وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر" تكررت مرة في كل مقطع: أي خمسة مرات في الخطاب، مدعما بالفعل القولي التوجيهي " فاشهدوا.."، الذي تكرر ثلاث مرات في كل مقطع، أي خمسة عشر مرة في الخطاب كله، يدل على التوكيد والاستمرارية والعزم والحزم، ومشهداً المتلقي وأحرار العالم على ما يقول في قوله: (فاشهدوا)، وتسعى في البلاغة العربية باللازمة، لما في هذا التكرار من قوة القول، كل ذلك مكنه من اكتساب قدرة كبيرة في الجانب اللغوي والبلاغي والفكري.

9-4- استراتيجية توظيف ألفاظ التعليل:

وظف الشاعر الكثير من أدوات الربط السببية، التي كانت أسبابا لتحقيق النتائج والإقناع والتأثير، فكل نتيجة لها خلفية وسبب لنشوءها، مما يعزز قوة القول؛ الذي يدعم الأفعال الإنجازية والسلوكية في إقناع وجذب المتلقي "فألفاظ التعليل تستخدم؛ لربط النتائج بأسبابها في التركيب الخطابي الحجاجي" (21). فمن هذه الروابط والأسباب نشأت النتيجة وتكونت الشحنات الحجاجية. ينظر: (الشكل رقم 8).

السبب	الروابط	النتيجة
-------	---------	---------

(الشكل رقم 8) طريقة توظيف عناصر التعليل في خطاب [قسما]

- لم يكن يصغي لنا لما نطقنا	ف	- اتخذنا رنة البارود وزنا
- نحن جند في سبيل الحق ثرنا	وإلى	- استقلالنا بالحرب قمنا
- وعزفنا نغمة الرشاش لحنا	و	- عقدنا العزم أن تحيا الجزائر
- يا فرنسا قد مضى وقت العتاب	و	- طويناه كما يطوى الكتاب
- يا فرنسا إن ذا يوم الحساب	ف	- استعدي وخذي منا الجواب
- صرخة الأوطان من ساح الفدا	و	- اسمعوها واستجيبوا للندا
- واكتبوها بدماء	ف	- اقرءوها لبني الجيل غداً
- الشهداء	ف	- اشهدوا .. اشهدوا .. فاشهدوا

4- 10- إستراتيجية توظيف القرائن المعجمية:

أنشأ الشاعر مفدي زكريا معجماً لغوياً خاصاً لخطابه، وضمّنه الكثير من المشاهد الثورية ، فهو مليء بألفاظ دالة على قوة الثورة، منتقاة بعناية ، متوافقة مع المقام والسياق العام للخطاب، منها الحقل المعجمي الحربي في قوله في المقطع الأول: (قسماً، النازلات، الماحقات، الدماء، والبنود اللامعات، الخافقات، الجبال الشامخات الشاهقات، ثرنا فحياة أو ممات، وعقدنا العزم، تحيا الجزائر، نحن جند، الحرب، رنة البارود، نغمة الرشاش ..)، في حين نجد المعجم الديني مدعماً لفظ القول وقوته الانجازية في المقطع نفسه: "قسماً ، الدماء الزاقيات الطاهرات، سبيل الحق، يوم الحساب، فصل الخطاب، أرواحنا نصعد ، فاشهدوا.."، بالإضافة إلى حقول الصراع والرفض والثبات في قوله: " لم يكن يصغي لنا، اتخذنا، عقدنا، العزم، ثرنا.. "، وهي حقول دلالية تدعم المضمون الثوري وتوجيه المتلقي .

4- 11- استراتيجيات توظيف الآليات المنطقية والشبه المنطقية:

تختلف هذه الآليات حسب ثقافة المتلقي ومعتقداته؛ وأنّ ما يحتاجونه - غالباً - هي الوسائل المؤثرة دون المقنعة، لأنّ مصدر التلقي مقنع عندهم. بالإضافة إلى العوامل الحجاجية (Les opérateurs argumentatifs) " وهي مورفيمات إذا وجدت في ملفوظ تحول وتوجه الإمكانيات الحجاجية لهذا الملفوظ.. " (22). فهي أنماط حجاجية منطقية تكون نتيجة خاضعة لمحتوى هذه المقدمات : فتحصر المتلقي بين السبب والنتيجة، مما يعني أن القبول بالشروط يعني القبول بالنتائج (الشكل رقم 9)

(الشكل) الروابط خطاب	- (ن 3) = عقدنا العزم أن تحيا الجزائر - (ن 2) = عزفنا نغمة الرشاش لحنا - (ن 1) = فاتخذنا رنة البارود وزنا لم يكن يصغى لنا لما نطقنا 2 ح 1 ح	رقم 9 توضيح الحجاجية في [قسما]

4-12- استراتيجيات توظيف المستوى الصوتي:

ترتبط موسيقى الصوت في شعر مفدي زكريا بتصورات المتلقي وخبراته وثقافته، وقد ورد مصطلح الإيقاع في معجم اللسانيات: "هو الرجوع المنتظم في السلسلة الكلامية للإحساسات السمعية المتشابهة التي تولدها العناصر النغمية المتنوعة." (23)، وهذا ما يميز الألفاظ في شعر مفدي زكريا من حيث جودة توظيف الجرس الموسيقي المناسب مع مضمون القصيدة الثوري، الذي يعكس مجريات ومشاهد الأحداث والحروب والمعارك، فوردت متطابقة مع متطلبات المشاهد الثورية بأصوات جهورية شديدة مثل: (ق ع م ب ج ط د ل ..)، وهي أصوات تعبر بصدق عن صدى الثورة، فظاهرة الإيقاع (RYTHME) الموظفة في الخطاب بنوعها: فالموسيقى الظاهرة، فيما يعرف في الشعر العربي بالوزن، وبالنوع الثاني الذي له علاقة بالسياق في تردد الكلمات، والحروف فيما يعرف عند القدامى بالموسيقى الداخلية، والتي اقتصرنا فيها على الوزن والتكرار وذلك لما تنتجه هذه الظاهرة التداولية من دلالات ومثيرات فنيّة على المتلقي.

فالبات حريص أن يختار لشعره الوزن والإيقاع والبناء الذي يتناسب مع مضمون خطابه والذي اختار له الشاعر بحر الرمل، وهو بحرٌ أحادي التفعيلة، يركز بناؤه على تكرار [فاعلاتن] ستة مرات في البيت الواحد، تماشياً مع وقع أصوات الرصاص، بالإضافة إلى تشكيلة الحروف الموسيقية الخارجية الجهورية [النازلات، الماحقات، العزم، البارود ..]، مع تنوع الروي والقافية الذي يعبر عن وقع القنابل والصواريخ، ومع وجود صدى اللازمة المكررة [فاشهدوا]، بتناغم أصواتها، وكذا إيقاع التصريع في البيت الأول، كل ذلك أعطى نغما موسيقياً ثورياً كان له الدور الكبير في إستراتيجيات الإقناع والتأثير والاستمالة في نشيد قسما الجزائري.

5 - الخاتمة :

نتيجة التحليل أبانت أن الشاعر مفدي زكريا، قد تمكّن من توظيف عدة إستراتيجيات إقناعية مؤثرة وجذابة في مخاطبيه، تناول فيها مختلف المواضيع والآليات الإقناعية والتأثيرية الفعالة ، مراعاة لما يتطلبه السياق والأحداث بمختلف أبعادها المحددة لنوعية كل إستراتيجية منها: حسن توظيف الأساليب التخاطبية التعليقية والحجاجية. والإستراتيجية التضامنية التي تعمل على إقناع المخاطب، مع وجود المرونة التي منحها في استعمال وتنويع الضمائر في مخاطبة، وكذا حسن استعمال أسماء الإشارة على كسب تأييد، وتعاطف المخاطب له. مع حسن توظيف الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة، وكذا في قوة الآليات المنطقية والشبه المنطقية التي منحت شحنات قوية للمتلقى، إضافة إلى جماليات المستوى الصوتي في موسيقاه الداخلية ،والخارجية المتلائمة مع الموضوع الثوري، كل هذه العناصر وغيرها ؛مكنت النشيد الوطني من الاستمالة وإثارة الإعجاب العالمي.

6 - قائمة المصادر والمراجع:

- ¹ - أرمنيكو ، فرانسوا. (1986) ، مركز الإنماء القومي، مكتبة الأسد ، سوريا ، ص 7.
- ² - المرجع نفسه ، ص 5
- ³ - الشهري ، عبد الهادي بن ظافر. (2004)، "إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت . ص 44
- ⁴ - بنكراد. سعيد. (2009)، الصورة الإشهارية :آليات الإقناع والدلالة، 2009المركز الثقافي العربي بيروت ، ص 188
- ⁵ - أرمنيكو ، فرانسوا. (1986) ، مركز الإنماء القومي، مكتبة الأسد ، سوريا ، ص 7.
- ⁵ - المرجع نفسه ، ص 38
- ⁶ - زكريا ، مفدي. (2007). " ديوان اللهب المقدس" ENAG edition بالتعاون مع مؤسسة مفدي زكريا ، الجزائر. زكريا ، ص 61-62
- ⁷ - زكريا ، مفدي. (2007). " ديوان اللهب المقدس" ENAG edition بالتعاون مع مؤسسة مفدي زكريا ، الجزائر. زكريا ، ص 1
- ⁸ - المرجع نفسه ، ص 61
- ⁹ - نحلة. محمود . (2006) ، آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصر ، 2006، دار المعرفة الجامعية ، ط1، الإسكندرية. نحلة ، ص 67

- 10 - صحراوي، مسعود ، (2005) ، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة للنشر والتوزيع ، ط 1 ، بيروت .لبنان، ص56
- 11- روبول ، آن ، موشلار.جاك. (2003) ، التداولية اليوم " علم جديد في التواصل " ، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت. ، ص3
- 12 - طه ،عبد الرحمان (1998)، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص.233
- 13 - - صحراوي، مسعود ، (2005) ، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة للنشر والتوزيع ، ط 1 ، بيروت .لبنان ، ص4
- 14 - العمري ، محمد. (1999). البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق . المغرب ، ص36
- 15 - - صحراوي، مسعود ، (2005) ، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة للنشر والتوزيع ، ط 1 ، بيروت .لبنان ، ص56
- 16 - زكريا ، مفدي.(2007). ديوان الله المقديس ، ENAG edition بالتعاون مع مؤسسة مفدي زكريا ، الجزائر. زكريا ، ص3
- 17 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها
- 18 - Ducrot .O ; (1991) . Dire et ne pas dire, Principe sémantique linguistique, 1991 ; Collection savoir –sciences, Hermann, Editeur de science des arts, 3ème édition, Paris. p133
- 19 - - طه ، عبد الرحمان، (1998)، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص 277
- 20 - الشجيري، سحر كاظم حمزة. (2011)، نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث ، ط1 ، دار صفاء للنشر والتوزيع . عمان، ص150
- 21 - علوي ، حافظ إسماعيل . (2010) . الحجاج مفهومه ومجالاته ، دراسة نظرية تطبيقية ، في البلاغة الجديدة ، عالم الكتب العالمي ، عمان ، ص122
- 22 - العزاوي، أبوبكر. (2010). اللغة و الحجاج . الدار البيضاء ، العمدية في الطبع .المغرب، ص27
- 23 - Dubois Jean 1989, Larousse, Paris, ,p424